بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

ذلك الكتاب الذى أقدمه اليوم «مقدمة فى علوم اللغة». تدور دراساته حول علم اللغة فى التراث وعند المحدثين.. مع التعرض لمناهج الدراسة عند كل منهم.. ونتبين فيه أن ما أخذه المحدثون على علماء العربية الأفذاذ السابقين يرجع أكثره إلى المنهج.. إما لعدم وضوح معالم محددة لمنهج عندهم.. أو لعدم إتباع منهج واحد.. وإما بسبب الخلط بين المناهج عندهم(١).. ومنهج البحث أمره خطير حقاً، وبمقدار تقدم المنهج تتوقف درجة الدراسة دقة وإتقاناً.. ولكن هذا لا يقلل من جهدهم.. ولا ينقص من قدرهم.. بفضل سبقهم.

واللغة التى تدور حولها مباحث علم اللغة وعلومها وتتخذها موضوعاً لدراساتها ليست لغة بعينها، وإنما هى اللغة التى تتمثل في كل الكلام الإنسانى، فالأصول والخصائص الجوهرية التى تجمع بين سائر اللغات في كل صورها هى موضوعات علم اللغة.. وليست لغة بعينها بل اللغة من حيث هى وظيفة إنسانية عامة.. وقد كانت علوم اللغة فى التراث تدور حول لغة بعينها هى اللغة العربية غير أن الأصول اللغوية التى وضعوها فى دراساتهم فى علم اللغة العربية تخدم الدراسات اللغوية عامة.. فدراسة لغة بعينها دراسة موضوعية متقنة على نحو ما صنع هؤلاء العلماء فى التراث تعد من أسس دراسة اللغة الإنسانية كلها.. بالإضافة إلى أن مثل هذه

---

(١) على سبيل التمثيل : إقرأ أصوات اللغة ص ٢ : منهجية البحث وفى ص ٥ يذكر أن الخلط فى الحقائق العلمية عندهم سببه الخلط بين المناهج. للدكتور/ عبدالرحمن أيوب، طبعة أولى، سنة ١٩٦٣م.

وفى أكثر من موضع من هذا الكتاب توقفت قضايا مختلفة متعلقة بهذا الموضوع.

الدراسات ضرورية.. فهى تسبق الدراسة اللغوية العامة..كما أن نتائجها تخدم المباحث اللغوية العامة أيضاً وتخدم كل دراسة لغوية.. فضلا عن أنها تعطى أصول دراسات لعلم لغة خاص وعام معاً.. كما أن لهم نظريات فى علم اللغة تتفق مع أحدث ما انتهى إليه اللغويون المحدثون(١).. فجهودهم جديرة بأن تسلط عليها أضواء الدراسة والبحث فلهم فى هذا المجال فضل السبق وأحقية الريادة وعمق النظر..

أضف إلى ذلك أن علماء العربية لم ينالوا قدرهم عند تأريخ الأوربيين المحدثين لعلم اللغة وعلمائه، ومن الأمثلة على ذلك أن جورج مونين فى تأريخه لعلم اللغة لم يحظ منه علماء العربية القدماء إلا بأسطر قليلة(٢) هى على حد تعبير أحد الباحثين «تنم عن الجهل بالتراث أكثر مما تنم عن الإهمال»(٣).

وحتى ما كتبه روبنز Robins عنهم إشارات ضئيلة عن الخليل وسيبويه فى دراسة الأصوات والمعجم(٤) «بيد أن أوربيا آخر كانت له نظرة

---

(١) من بينها على سبيل التمثيل نظرية عبدالقاهر الجرجانى فى دراسة اللغة، إقرأ منها مثلا اتجاهه التجديدى فى الدراسات الصرفية ص١٢٧، أو الأسس التى بنى عليها منهجه التجديدى فى دراسة النحو من ص١٨٥، أو منهجه فى دراسة المعنى اللغوى من ص٢٣١ من كتاب عالم اللغة عبدالقاهر الجرجانى المقتن فى اللغة العربية ونحوها.

(٢) فى كتابه «علم اللغة» ترجمه إلى العربية د. بدر الدين القاسم، دمشق، مطبعة جامعة دمشق سنة ١٩٧٢، إقرأ ص١٠٦.

(٣) د. حلمى خليل إقرأ مقدمته لترجمة كتاب "What is Linguistics by David Crystal" وقد نقله إلى العربية تحت عنوان : «التعريف بعلم اللغة»، طبعة أولى سنة ١٩٧٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب (بالاسكندرية).

(٤) A Short History of Linguistics R.H. Robins Second Edition. A Longman Paperback P. 98, 129.

وإقرأ الفصل الرابع عن تاريخ اللغة فى العصور الوسطى، والخامس عنها فى الإتبعاث والنهضة وما بعدها.
See, Four; The Middle Ages, and Five : The Renaissance and after. P, 94-132.

أشمل وأكثر إنصافاً هو المستشرق الألمانى (أ. شاده) فقد وجدناه يتجه إلى الاعتراف بجهد العلماء العرب، وإسهامهم فى الحضارة الإنسانية، بما قدموا من دراسات لغوية لم يسبقوا إليها فى ميدان النحو والصرف والأصوات والمعاجم وقد خص بالدراسة جانب الأصوات فى بحث بعنوان (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا) انتهى فيه إلى أنه من الصعب إضافة أى تعديل على ما قدم سيبويه من تحديدات علمية لكل ما تعرض لدراسته من الظواهر الصوتية، اللهم فيما عدا موضوع الحنجرة التى لم يعرف العرب لها وظيفة صوتية فجعلوها جزءا من الخلق»(١).

وتلك الإشارة فى عمومها نستطيع أن نعرف حقيقة مبعثها ومداها من تعليق آخر لصاحبها الدكتور عبدالصبور شاهين فى هذا الموضوع أيضاً حيث يقول :

« وقد لوحظ على تأريخ الأوربيين للدراسات اللغوية أنهم يقتصرون فى سرده على جهودهم بدءاً من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر دون أن يعرج أحد منهم على ما قدم العلماء العرب من جهود فذة فى هذا الميدان(٢)».

فكان من حق هؤلاء العلماء علينا أن نعرف بجهودهم فى مجالات الدراسات اللغوية المختلفة التى قاموا بها.. وقد جاء ذلك فى إيجاز فكل مجال من المجالات اللغوية التى عرضت لها هذه الدراسات يمكن أن تؤلف فيه كتب وتكتب من حوله مجلدات.

---

(١) دكتور عبدالصبور شاهين : فى علم اللغة العام، ص٢١ ويذكر فى هامش نفس الصفحة أنه توجد لديه نسخة خاصة من هذا البحث.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠، ٢١.

كما أن كثيرين من المحدثين أثاروا حول جهود هؤلاء العلماء غبار الشكوك ومن أسف أن بعض باحثينا تبعهم فى ذلك بل وروّج لما ذهب إليه بعض المستشرقين.. وقد نوقشت هذه الأمور فى حيدة بعيدة عن رد الفعل الانفعالى أو التعصب.. على نحو ما يتبين فى أكثر من موضع من هذا الكتاب.

وعالجت الدراسة فى هذا الكتاب موضوعين كبيرين :

أولهما : علوم اللغة ونشأتها فى التراث ومناهج الدراسة التى اتبعت معها

وعرضت لما أثير حول كتاب سيبويه من كونه مبتكراً أو منقولامن ثقافات أخرى.

وعرضت فى فصل آخر لمصادر المادة اللغوية ومنهج جمعها ودراستها وناقشت ما أثير بخصوص هذا الموضوع من قضايا، وما يجب نحو تحديد العصر الزمانى والبيئية المكانية للغة المدروسة.

كما عرضت فى فصل آخر لقضية اللغة والمنطق واستتبع ذلك عرضاً لأبعاد الدراسة فى بعض كتب التراث النحوية وجاء على سبيل التمثيل عرض لأبعاد فكر ومنهج العوامل المائة لعبدالقاهر الجرجانى بهدف الكشف عن أثر الإتجاه المنطقى فى الدرس النحوى التقليدى..

ثم عرض فصل آخر لمغالاة علماء العربية فى خصائص العربية – وربط بين وجهات النظر التقليدية والحديثة فى هذا الصدد.

كما عرض فى فصل غير ما سبق لمفاهيم ومصطلحات وردت فى التراث اللغوى مثل مصطلح علم اللغة. وفقه اللغة واللغة، وعلوم اللغة.. وتتبع ما جاء بشأنها فى التراث من حيث دلالة المصطلح ومفهومه –

والمباحث التى دارت فى مجاله وبصدده بأبعادها المختلفة، وأوسع القول بعض الشئ فيما يتعلق بمباحث الثروة اللفظية وفقه اللغة ودراسة المفردات اللغوية والاتجاهات المتعددة فيها ودراسة المعجم ومسارات تلك الدراسة فى التراث.

كما عرض فصل آخر لعلوم البلاغة التقليدية فى التراث وتتبع مساراتها اللغوية حيث نشأت وتمت مباحث لغوية وهى بمفهومنا لها اليوم تُفَرَّع وفق المباحث اللغوية.. كما عرض أيضاً لمجالاتها وموضوعاتها المختلفة. وأشار إلى مناهج دراستها..

أما القسم الثانى من الدراسة فى هذا الكتاب فقد عالج علوم اللغة لدى المحدثين.. والمراحل التى اجتازتها.

وعرض فصل آخر منه لمجالات هذه العلوم وموضوعاتها المختلفة وأشار إلى مناهج الدراسة اللغوية الحديثة.

وجاء كل ذلك فى إنجاز القصد من ورائه التقديم لهذا العلم والتعريف به فى التراث ولدى المحدثين.. على أمل أن التفصيلات سوف تتكفل بها دراسات مستقبلة بعون الله.. والله وحده المسئول أن يهيئ السبل فهو من وراء القصد نعم المولى ونعم الهادى للرشاد.

دكتور البدراوى عبد الوهاب زهران

الدقى فى رمضان المكرم ١٤٠٠هـ/يوليو ١٩٨٠م

obeikandl.com